



أنا .. وياسر عرفات!!

لقد أحببت (ياسر عرفات).. ولا أنكر أنه في بعض المرات كنت أختلف معه بشدة وبوضوح.. لكنني التقيته في آخر لحظة في حياته.. وفي كل الأحوال هذا الرجل أعطى للقضية الفلسطينية وجهاً وملامح وصوتاً للتعبير في وقت كانت تحتاجه بقوة.

وكانت له أخطاؤه.. عندما تطور وزادني حيرة.. ولقد قدرته كثيراً بقدر ما استطعت.. لكنه حيرني بمعنى أنني قدمته لـ(جمال عبد الناصر).. ورأيتُه كيف يتحدث مع (جمال عبد الناصر).. وبعدها بفترة قدمته في موسكو بطلب من (جمال عبد الناصر) لرئيس الوزراء السوفييتي (كوسيجن).. وكان يعتقد في البداية أنه من الوفد المصري..

ولما عرف من هو قال لى (كوسيجين) أن هؤلاء أناس من المغامرين.. والاتحاد السوفييتى يتردد قبل صنع أية علاقة معهم.. وعلى أى حال صافح " (كوسيجين) ياسر عرفات) " ونشأت علاقة ل(عرفات) مع الاتحاد السوفييتى.

وبعد سنة واحدة قال لى (كوسيجين) بنفسه هل صحيح أن (ياسر عرفات) أقوى رجل في العالم العربى؟ وقال لى أنه قال ذلك على نفسه وأنه قال لمازروف^(١) هذا الكلام.. وكنا قد قدمناه لمازروف وقال له أنه أقوى رجل في العالم العربى لسبب واحد هو أن قضية فلسطين تجعل له حزباً في كل عاصمة عربية.. وهو يستطيع أن يحرك هذه الأحزاب حين يشاء.. بينما أى زعيم عربى يستطيع أن يتحكم فقط في عاصمة بلده.. أو عاصمة أو اثنين آخرين.. لكن (ياسر عرفات) يستطيع أن يفجر الموقف في كل العواصم العربية.. وقد استغربت عندما قال لى (كوسيجين) ذلك.. ولكنى لم أعلق.. لأنه عندما تقول إنك أقوى من أى زعيم عربى في ذلك الوقت هذا خطأ لأنك موجود في منفي بعيداً عن بلدك.. وتعدى كل الدول.. بالإضافة إلى كون هذا ليس صحيحاً.

بين (عرفات) و(الملك حسين)

أذكر مشهداً آخر مع (الملك حسين) وكان في قمة خلافاته مع ياسر عرفات).. واضطر تحت ضغط القمة العربية أن يُسلم عليه ويظهروا كما لو كانوا أصدقاء.. وبعد ذلك أشدت بالصورة وكنت وقتها وزيراً للإعلام أمام الملك مع الرئيس ساهى الأدم الذي كان رئيساً للجنة التي أنشأتها القمة العربية لمتابعة العلاقة بين الملك والمقاومة الفلسطينية.. وأنا عضو فيها كوزير إعلام مصرى وكنت أمثل الناحية السياسية.. ومعى الفريق (محمد أحمد صادق) الذي كان يمثل الناحية العسكرية.. وعندما قلت للملك أنه شيء جميل أن تسلم على (ياسر عرفات) فرد قائلاً:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدو له ما من صداقة بد^(٢)

وفي مرة ثالثة مع الرئيس صدام حسين في بغداد دخلت عنده مع السيد (طارق عزيز) رئيس الخارجية العراقى في ذلك الوقت.. ووجدت عنده (ياسر عرفات) لكنه كان انتهى من الموعد وخارج.. فقلت لصدام: إن شاء الله خير.. وكان لدى صدام طريقة خاصة في الكلام.. ورد عليّ بقوله:

(١) كان مازروف وقتها في المكتب السياسى السوفييتى مسئول عن حركات التحرير الوطنى.

(٢) بيت شعر معروف للمتنبى.

- يا أبوعلی هؤلاء أناس أصغر من قضيتهم.. وقال لی أنه ستثبت الأيام صحة كلامه.

أوسلو أكبر أخطاءه

وأنا أعتبر أن أكبر خطأ لـ(ياسر عرفات) على الإطلاق هو قبوله توقيع اتفاقية أوسلو^(١) وهي اتفاقية تؤجل القوائم الرئيسية لشعب فلسطين والقضية الفلسطينية وهي المستوطنات والقدس والحدود وحق العودة بالنسبة للاجئين ومعنى تأجيل هذه القضايا یعنی أنه القضية الفلسطينية كلها رحلت إلى مستقبل نحن لا نعرف موازين القوة فيه كيف تكون.

وفي ذلك الوقت كنت قد ألقيت محاضرة بالجامعة الأمريكية في القاهرة وقلت: أريحا وغزة أولاً وأخيراً.. فغضب منى وجاء لی في زيارة له للقاهرة في مكنتی فقلت له إننی قلت في المحاضرة ما أعتقده وأنا أخشى أنك لن تأخذ شيئاً.. وحكى لی ماذا تم قبل أوسلو وما بعدها.. وحكى لی أن (الملك الحسن) ملك المغرب سوف يتعامل مع أناس يستطيعون تحويل قاطع الطريق إلى إبليس في ٢٤ ساعة بالآلة الإعلامية المهولة الموجودة عندهم.

(١) اتفاقية أو معاهدة أوسلو هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣.. وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرية عام ١٩٩١ أفرزت هذا الاتفاق في ما عرف بمؤتمر مدريد.. وتعتبر اتفاقية أوسلو.. التي هي أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شميون بيريز.. ومنظمة التحرير الفلسطينية.. ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية محمود عباس.. ورغم أن التفاوض بشأن الاتفاقية تم في أوسلو.. إلا أن التوقيع تم في واشنطن.. بحضور الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون.. وتنص الاتفاقية على إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية (أصبحت تعرف فيما بعد بالسلطة الوطنية الفلسطينية).. ومجلس تشريعي منتخب للشعب الفلسطيني.. في الضفة الغربية وقطاع غزة.. لفترة انتقالية لاتمامها في أقرب وقت ممكن.. بما لا يتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية.. ونصت الاتفاقية.. على أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية.. بما فيها القدس.. اللاجئون.. المستوطنات.. الترتيبات الأمنية.. الحدود.. العلاقات والتعاون مع جيران آخرين.. ولحفظ الأمن في الأراضي الخاضعة للسلطة الفلسطينية.. نصت الاتفاقية على إنشاء قوة شرطة فلسطينية قوية.. من أجل ضمان النظام العام في الضفة الغربية وقطاع غزة.. بينما تستمر إسرائيل في الاضطلاع بمسؤولية الدفاع ضد التهديدات الخارجية.. في إسرائيل نشأ نقاش قوي بخصوص الاتفاقية: فاليسار الإسرائيلي دعمها.. بينما عارضها اليمين.. وبعد يومين من النقاش في الكنيست حول موضوع الاتفاقية وتبادل الرسائل.. تم التصويت على الثقة في ٢٣ سبتمبر ١٩٩٣ حيث وافق ٦١ عضو كنيست وعارض ٥٠ آخرون.. وامتنع ٨ عن التصويت.. الردود الفلسطينية كانت منقسمة أيضاً.. ففتح التي مثلت الفلسطينيين في المفاوضات قبلت بإعلان المبادئ.. بينما اعترض عليها كل من حركة حماس والجهاد الإسلامي والجمعة الشعبية لتحرير فلسطين (المنظمات المعارضة) لأن أنظمتهم الداخلية ترفض الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود في فلسطين.. على كلا الجانبين كان هناك تخوفات من نوايا الطرف الآخر.. وفهموا تلك المقولات على أنها محاولة لتبرير توقيع الاتفاقية بالتوافق مع التاريخ الديني.. مع اتفاقيات مرحلية للوصول إلى الهدف النهائي.. ومن أشهر معارضي الاتفاق محمود درويش وإدوارد سعيد.

وأنا أقول أن (ياسر عرفات) لم يكن قاطعاً للطريق.. بل كان رجلاً مقاوماً يقود ثورة.. ولكن استهواه أن يتحول لنجم في الإعلام العالمي.. وهذا استمر لأيام قليلة جداً ثم انطفأت الأنوار كلها.. وجاءت أوهام كثيرة.

أشياء غريبة

كنت أذهب لقصر الأندلس لكي أراه وقد طرأت على هذا الرجل الثائر أشياء غريبة جداً بالمصادفة.. وأشياء كنت أخاف عليه منها.. وقد كنت أعتقد أن قصر الأندلس الذي كان ينزل فيه بمصر الجديدة ليس لائقاً بوظائفه.. فذات مرة قال لي أنه لا يوجد شيء للإفطار.. وأن الموجود جبن وزيتون فقط.. وإنه كان عنده أسامة الباز قبل حضوري بيوم.. ونزل الباز فندقاً قريباً واشترى طبق فول.. وأشياء أخرى.. فقلت له أن هذا لا يهكم فأنت رجل ثائر فقال لي وأنا رئيس دولة أيضاً.

أريد القول أن هناك ما يطرأ على الثوار عندما يأتي موضوع السلطة والثورة قبل الأوان ووهم الدولة.. ووهم الحكم والسلطة.. وحتى على الثوار يريدون أشياء ليس لها لزوم في اعتقادي.. لأنه لما كان (عرفات) يذهب ليدخل فلسطين أول مرة ترجيته بالألا يدخل فلسطين بعد اتفاقية أوسلو.. فإنه إذا دخل فلسطين سيصبح أسيراً في فلسطين وسيبقى رهينة عندهم.. فقال لي غريبة أن رأيك يخالف رأي كل الزعماء العرب.. فقلت له أتريد رأيي بصراحة فقال لي نعم فقلت له يريدون أن يخلصوا منك.. وطلبت منهم أن يظل خارجاً.. ويطلب إدارة فلسطينية تدير من الداخل من المناطق التي تزعم إسرائيل أنها ستعطيها لكم.. لكنه كان متعجلاً جداً.. واستقبل في غزة استقبالاً هائلاً.

ولما حدثى بعدها بيومين ليعرف رأيي في الاستقبال.. قلت له أنه كان هائلاً لكن لم يعجبني حرس الشرف.. فقال لي أنت لا تريد أن تتقبل أنني رئيس دولة.

واعتقد أن (ياسر عرفات) تعرض لعمليات نصب صريحة.. ففي يوم من الأيام دخل وقال لي أنه معه الدليل الحاسم الذي يدين (الملك حسين) والحكومة الأردنية.. وأعطاني ملفاً من ٣٠ أو ٣٥ وثيقة.. وعندما نظرت للملف فقلت له وهو في مكتبي إنها مزورة.. ولا يمكن أن يتم تسجيل العلاقة بين الأردن وإسرائيل بأوراق رسمية.. وليس بهذه الفجاجة.. فقال لي: أنه ليس مزوراً وأنهم دفعوا فيه ٣٠٠ ألف جنيه إسترليني.. فقلت له وهذه الوثائق أمامي أنا أثق أنها مزورة.. وبالتالي أنا أمام رجل أمانيه تسبق قدراته.. وطموحه يسبق وسائله.. وهو يشعر أن هذا ملف القضية.

احتفظ أبوعمار لنفسه بقضايا مهمة للغاية.. فاحتفظ بالمال.. والسلاح والإعلام..
وبالتالي أصبحت هناك تناقضات لا تتحملها الثورة الفلسطينية في هذه اللحظات.. لكن
يبقى دائماً رجل عزيز علينا.. وذكره لا تزال عزيزة أيضاً.

